

أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله)

لنجيب الكيلاني

الأستاذ المشارك الدكتور محمد الشيخ

جامعة سيستان وبلوشستان – قسم اللغة العربية وأدابها

sheikh\_m20@yahoo.com

الباحث عبدالرحمن العيدوزايي

خريج الماجستير- جامعة سيستان وبلوشستان وطالب الدكتوراه بجامعة يزد

**The methods of the repressive regime ("tyranny")  
are in the light of narration of (journey to God) of  
"Najibullah al-Kilani**

**Dr. Mohammad Shaikh**

University of Sistan and Baluchestan Arabic ، Associate Professor

Language and Literature

**Abdol-Rahman Eidouzi**

Graduated from the Arabic Language and Literature Department

University of Sistan and Baluchestan

## **Abstract:-**

Human history witnesses that just states and governments have been full of achievements and bestowal. Unlike them, despot and tyrant governments have been sources of backwardness and insufficiency. Each form of emergence of governments that appears to be dictatorial and oppressive to them is time-consuming. There are many sources of them, unless there are common points that they represent different rings of the series, and the contribution to these united positions of equipment is a successful argument in understanding this practice of the Darfur State in pursuit of its strategic objectives

The veteran Najib al-Kilani of Egypt, a contemporary scholar, contributes to the reader in this unique method motion (which is an expression of the narrative), and illustrates this discussion in several "sections of the story "Trip to Right

This discussion tries to (for his reader) analyze and demonstrate its innovative method; to answer the reader's questions (which are also about the authoritarian nature of tyrant regime and its modes)

And this manifests itself by introducing a way of dealing with these governments with their nations

As a result of the discussion, it will be clear that violence is the basis of a tyrant government, and it is clearly proven that the hostility of this regime to its people results from the contradiction of their ideas and beliefs. And the author of his special booklet (which is authentic) discusses the reader in a great depth. Equivocation gives other systems, and presents this information with a conclusion and an example of the flow of those states.

**Key Words:-** Najeeb Al Kilani , Islamic Prophecy , Journey to God , Secular Domination , Methods.

## **المخلص:**

يشهد التاريخ الانساني أن الحكومات العادلة حافلة بالعتاء والإنجاز و عكس ذلك يصدق على الحكومات القمعية في كونها مصدر التخلف والإجباط. مهما تباعدت فترات ظهور الحكومات بصبغة الاستبداد والعنف وتعددت مواطن نشوئها إلا أنها تلتقي عند نقاط تجعلها حلقات مسلسل واحد والتركيز على هذه النقاط من ضرورات البحث للتعرف على طبيعة هذا الأسلوب من الحكم والإطلاع على أهدافها الإستراتيجية. والدكتور نجيب الكيلاني المصري المعاصر يساعد القارئ بمادته الروائية في هذا المشروع المعرفي في فصول رواية (رحلة إلى الله). يحاول هذا البحث عن خلال قراءة النص على أساس التحليل و استعراض المادة الروائية أن يضع إجابات على السؤال من طبيعة النظام الإستبدادي وأساليبه بتسليط الضوء على الطرق التي يعامل الشعب بها ويبدو من خلال البحث أن العنف و المراوغة تشكلان أساس الإستبداد و يتضح أن معاداته الشعب ناتج عن عداء بين الرؤي و المبادئ ويسير الكاتب بالقارئ إلى آخر محطات البحث بعرض روائي متميز يتسم بروح الأصالة والمبدئية و يزود القارئ بمعلومات هامة عن حقيقة هذا الأسلوب السلطوي و ما يعايشه من نظم حكومية عن طريق الإستنتاج والتنظير.

**الكلمات المفتاحية:-** نجيب الكيلاني - الرواية الإسلامية - رحلة إلى الله - الإستبداد العلماني - الأساليب.

## ١- المقدمة:

إن تاريخ الإستبداد ممتد بامتداد التاريخ الانساني وظلت الانسانية تعاني منها في جميع القرون التاريخية فشأ ونضج واختمر في رحلته التاريخية واجتمع لديه من التجارب ما تكفيه للفترات المستقبلية.

إن الاستبداد يري قوته وإزدهاره في عوامل خاصة فيظل يركز عليها ويرى في عوامل خاصة تقلص ظله وسرعة هبوطه نحو السقوط والزوال فيسعى لإحتوائها والضغط عليها لكن النكته الهامة التي تم الإجماع عليها أن الاستبداد تم بناءه على القهر والبطش والتضليل والتمويه والتعتيم وحياته حافلة بالتناقضات الصارخة بينما يرفع شعارات الرفاهية والكرامة الانسانية وصيانة الحقوق يقوم بأبشع الممارسات التعذيبية في السجون والزنايات، عملته فعالة نحو تجريم الإلتزام والحماس الديني ومقابل ذلك يستغل الحماس الديني في درء الأخطار المتوقعة للحكومة وفي كلمة تختصر سياساته في العنف والمراوغة ونحاول في هذا البحث أن نلقي الضوء على هذه الجوانب في الحكومة الاستبدادية في ضوء رواية ((رحلة إلى الله)).

### ١-٢ أسئلة البحث

١. كيف تمكن الكاتب ان يصور بروايته الضدية بين الشعب والحكم الإستبدادي ويعمقها في ذهن القارئ؟
٢. كم يقدر نجاح الكاتب في استغلال الجوانب الفنية في الرواية لإطلاع القاري على واقع يعيشه ولا يعيه؟
٣. كيف استطاع أن يرفع القناع عن حقائق طالما سعى الاستبداد إخفاءها؟

### ١-٣ الفرضيات

يبدو أن الكاتب نجح عن طريق تصوير الأساليب القمعية لدى الاستبداد في مدى التضاد الذي يفصل بين الشعب والإستبداد الجائر.

يبدو أن الكاتب تمكن من تجسيم الحضور الفاعل للاستعمار القديم عن طريق وكلائه

(٢٩٢)..... أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني

الوفيين في الشرق العربي.

يبدو أن الكاتب أحال الضدية إلى المبادئ التي يدينها الشعب واللاينية التي تباها  
الاستبداد العلماني.

### ١-٤ سابقة البحث وضرورته

إن آثار الكيلاني وخاصة رواياته كانت موضوع أبحاث كثير من الباحثين حيث عكفوا  
عليها دراسة، تحليلاً، نقداً وترجمة وبياناً للأساليب الكتابية في قصصه ورواياته.

يمكن أن تذكر منها ما يلي:

١- دراسة عناصر القصة في مجموعة حكايات طيب على اساس منهج الادب  
الإسلامي وقد أعد البحث الاستاذ المساعد في كلية الآداب واللغات الأجنبية بجامعة العلامة  
الطباطبائي بطهران وطالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها نجمة حسينيان فر وتم نشر هذه  
المقالة في مجلة نقد الأدب العربي المعاصر؛ العام السادس؛ العدد الحادي عشر؛ ١٣٩٥ لقد  
حاول الكاتبان في هذه المقالة مستخدمين المنهج الوصفي والتحليلي دراسة عناصر القصة في  
هذه المجموعة للبحث عن مظاهر الأدب الإسلامي وأثبتا أن الكيلاني ضمن بعضا من  
مظاهر الأدب الإسلامي في مجموعته وأعطى لقصصه صبغة إسلامية بحيث يمكن اعتبارها  
نموذجاً من القصة الإسلامية.

٢- الدراسة والتحليل لعناصر رواية عمالقة الشمال وقد أعد هذا البحث يعقوب شه  
بخش بإشراف الدكتورة مريم الخليلي جهانتيج بجامعة سيستان والبلوشستان الحكومية وقد  
قام الباحث بدراسة البنية الفوقية و البنية التحتية للرواية واستخراج العناصر المطلوبة منها  
وتعد الرواية نافذة إلى معرفة الأوضاع السياسية والإجتماعية في العالم الإسلامي لاسيما في  
القارة الإفريقية والمؤامرات الصليبية و الصهيونية هناك والرواية لها مقومات سياسية  
وأخلاقية وقد سارت على أساس الإستلهام من الواقع.

٣- البحث والتحليل للمفاهيم السامية في روايات نجيب الكيلاني أعد هذا البحث  
الطالب في مرحلة الماجستير عبد الرحمن عيدوزابي بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الشيخ  
الاستاذ في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة سيستان والبلوشستان الحكومية تمكن الباحث أن

أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني.....(٢٩٣)

يقدم إلى القراء المحطات البارزة من الصراع الواقع بين الفكر الإسلامي والأفكار المناوئة في التاريخ الإسلامي وأثبت أن ركائز هذا الصراع تعود إلى الإيدئولوجي السلبي الذي يمثلها المناوئون والأفكار الإنسانية البناءة التي يمثلها الدين الإسلامي و يثبت من خلال البحث مدي نجاح الكاتب في نقل المفاهيم السامية إلى القاري والكشف عن المخططات التي تنافي المبادي الإنسانية وإقدامه لإنشاء تطوير في المسار الكتابي الحالي شكلا ومضمونا وشق الطريق لتدوين الأساسيات لابتكار إتجاه إسلامي في كتابة الروايات بالتركيز على تاريخ الإسلام المشرق وفتح الساحات الروائية الجديدة للراغبين في هذا الفن واستطاع الكاتب بمساعدة استاذة المشرف نشر مقال مستخرج من البحث المذكور بعنوان ((التعريف بأخلاق اليهود ونفسياتها في ضوء رواية على أبواب خير)) في مجلة آداب الكوفة؛ العدد السابع عشر-٢٠١٨م.

لكن لم اعثر على بحث اعتني بمتن الروايات وتحليلها باللغة المباشرة وإخراج جوانب التركيز على الواقع الذي يعايشه المواطن في الشرق العربي لينتشل فيه الحس بالاحداث التي وقعت في فلکها بلا وعي كل ذلك للإسهام في التوعية وكسر جدار التعتيم المفروض والكشف عن الخطط التي رسمت لتحديد مصيرنا.

### ١-٥ نجيب الكيلاني ورواياته

نجيب الكيلاني كاتب وروائي مصري معروف ابصر النور سنة ١٩٣١م /١٣٥٠ق في قرية شرشابة في اسرة تشتغل بالزراعة.

حصل على شهادة دبلوم في طنطا والتحق بعد ذلك بجامعة القاهرة في مادة الطب والقي عليه القبض واستطاع بعد ذلك أن يواصل دراسته في مادة الطب وتخرج عام ١٩٦٠ من كلية الطب واشتغل بمهنة الطب وكتابة الرواية.

يعتبر الكيلاني في طليعة الكتاب الاسلاميين من حيث كثرة الانتاجات الادبية وتنوعها وله إنتاجات أدبية في الرواية، القصّة، الشعر، النقد، الفكر والطب. إن السنوات الطويلة التي قضها في السجن كونت منه كاتباً مناضلاً يتحدى الظلم ويدعوا إلى حب الإنسانية وكان يتمتع بأخلاق حسن وتواضع وطلاقة وجه، نال جائزة وزارة التربية بروايته ((الطريق الطويل)) وتم نقل كثير من رواياته إلى اللغات الانجليزية، الفرنسية، الالمانية والاردية والفارسية واللغات الأخرى.

## ٦-١ التعريف برواية ((رحلة إلى الله))

رواية رحلة إلى الله قصة دامية لأصحاب المبادي في ظل الإستبداد العلماني يوم كان هتاف العروبة تدوي في فضاء الدول العربية من قبل أصحاب السلطة. اكتوى أهل الإيمان و الدعوة بنار هذه الفكرة المتطرفة و لم يكن لهم ذنب سوى أنهم اقتنعوا بأن الإسلام هو الأسلوب الأمثل للحكم والحياة.

يمثل في الرواية عطوة العنصر الإستبدادي ورئيس السجن، تم توظيفه لمؤهلاته الخاصة في هذا المنصب، شاذ في الأفكار والممارسات، يتمتع بالتعذيب وإهواء السياط المحرقة على أجساد المظلومين من المعتقلين في السجن الحربي وهم ليف من شرائح مختلفة تجمعهم ميزات مشتركة وهي الثقافة و الفكرة النيرة والبطولة و في زنازة أخرى تقبع سلوى أحمد عبد الكريم الصافي تم القبض عليها لأن زوجها من أصحاب المبادئ ويدرست الدكتورا في ألمانيا و التهمة الموجهة إلى الآخرين هي أنهم كذلك أصحاب المبادئ في الحياة ثقافتهم واسعة و مكائهم الإجتماعية رفيعة و دعوتهم مؤثرة.

تقدم الرواية صورة متكاملة عن الجهاز الإستبدادي و نفسيات عناصره بداية من الرئيس إلى أخط عنصر في هذا الجهاز و تدخل نبيلة عبدالله في المكان المناسب من الرواية لتبدي الرواية جوانب مهمة من الحياة في ظل الإستبداد العلماني فهي تمثل الفتاة المثقفة التي تدرس التاريخ و يتعرف عليها عطوة عن طريق أسر زملائه و رغم نظرة عطوة السلبية نحو الزواج الشرعي يجذبه جمال نبيلة الباهر إلى انتخابها. عالم نبيلة لا يتعدى الدرس و التحضير المدرسي فدخل عطوة في حياتها تكدر جوانب حياتها الصافية و تقحمها في صراع مع عنصر شاذ فكريا و سلوكيا و تبدو في جولات نبيلة مع عطوة مدى اختلافهما، إختلاف أي مواطن عادي مع عنصر إستبدادي شاذ فالأول ينظر إلى الحياة من نافذة الشعب و الثاني نظرتها استعلائية تبني على الوهم أكثر من الواقع و عدم استجابتها لطلبات عطوة العبية يلقى في أزمت كانت في غنى عنها، لأول مرة ترى نفسها في المخبرات و هناك تتعرف على سلوى و ترى تعذيب المظلومين من عامة الشعب على يد الإستبداد العلماني و هذه تكون بداية تطور عظيم في حياتها و تفتح عينها على حقائق كانت في غفلة عنها و هناك برزت جوانب حياة هذا الوحش المسمى بعطوة أكثر و تقرر في الأخير لتتخذ

أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني.....(٢٩٥)

نفسها من برائن هذا الوحش الذي أحال حياتها إلى جهنم و شقاء و شعرت في هذه الوضعية بمدى شقاء الشعب المضطهد في ظل الإستبداد. تعرفت في مراجعاتها الى مراكز العيادة على الدكتور سالم و وجدتها رجل المبادئ وأشار إلى نبيلة الرحيل من البلاد و هكذا خرجت نبيلة كطائر من قفص البلاد و تم القبض على الدكتور سالم بعدها و بقي هو كالبطل الأسطوري في ذاكرتها و لم تكن تزعجها سوى أسرتها و فكرة سلوى و بدأت نشاطها في رحاب إخوة و أخوات في الله و واصلت مسيرتها و جربت أزمت سببها الإستبداد خارج البلاد أيضا و فوجئ يوما بالدكتور سالم لحق بها هناك و خطبها بإذن من أبيها و وجدتها نبيلة رجل أحلامها و بدء حياة جديدة في ضوء التقاء افكارهما.

أما المعتقلون بحكم قضاء روتيني حكم عليهم بالسجن و نهاية محمود صقر الذي وجهت إليه تهمة حيازة السلاح تكون مؤلمة حيث يستشهد تحت تعذيب عطوة و سلوى لم تطق كل ذلك التعذيب الجسدي و النفسي المفرطين و أصيبت بانهيار عصبي و هكذا رسمت الرواية الحياة في ظل الإستبداد العلماني عابسة لا توحى ببشائر خير إلا ذلك البصيص من النور الذي توحىها حياة هؤلاء الأبطال ليتحول نورا يبدد الظلمات و يضيء حياة الشعب من جديد انهزم عطوة في صراعها مع النبيلة التي أثرت مبادئها على كل شيء في الحياة و بقي عطوة كذئب أجرب يلحق جراحه و يجر خبيته في الصراع مع أصحاب المبادئ.

## ٢- أساليب الإستبداد

إن الإستبداد المعاصر نفس الإستبداد القديم و ما يميز بينهما من فروق و يلاحظ عليهما من تغييرات ليس سوي تطورات سطحية اصطبغ بها بضغط عوامل الزمان و الجغرافيا و المصالح لكن المقومات التي تشكل أساسها لم تختلف يمكن لنا أن نلخص مقوماتها في أربعة: الأهداف و النفسيات و العناصر و الأساليب و يدور بحثنا في هذه الدراسة على محور الأساليب و نحاول تسليط الضوء عليها مستندا إلى الرواية

## ٢-١ نقض الحقوق والمعاهدات

إن ممارسات الاستبداد العلماني في صعيد الحقوق و كرامة الانسان تتناقض كليا مع شعارات يهتفون بها لتغريير الشعب حتى المعاهدات و المواثيق العالمية التي تنص على صيانة الحقوق لا تجد لها اي صدي لدي هذا الجهاز و جاء في الميثاق الدولي في موضوع الحريات

(٢٩٦)..... أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني

البدنية (المواد ٣-١٤) وفيها يعترف الاعلان بحق الانسان في السلامة البدنية و يحظر الاعمال التي تحط من كرامة الانسان كالاتجار بالرقيق و اعمال التعذيب كما يتضمن حرمة المنزل و حق التنقل وحق اللجوء السياسي (الزهيلي، ٢٠٠١: ٢٤)

ومعتقلات الدولة الإستبدادية نموذج صارخ للانتهاك و رمز لاهانة كرامة الشعب واذلالهم حيث لا يمتعون هناك بأدني حقوق إنسانية و هذه ظاهرة فاشية و سياسة متبعة لدي معظم الحكومات الإستبدادية في الدول الاسلامية؛ نري ذلك في هذا الفصل من الرواية:

لقد طالت فترة الاعتقال، و كان النزلاء يعانون من قلق بالغ بالنسبة لنسائهم و أطفالهم خارج السجن، و الحكومة لم تسمح لهم بالزيارة، حتى مجرد كتابة خطابات عادية تحت المراقبة لم يسمح لهم بها، و هنالك عدد كبير من المعتقلين ذوي الإعمال الحرة، بعضهم مرتبط بالتزامات و عقود قانونية لتوريد بضائع، أو إقامة بنايات، أو الوفاء بأعمال متنوعة، و بعضهم لديه بعض المتاجر التي أغلقت أبوابها، و أصبحت أسرهم بلا مورد رزق... (الكيلاني، ١٨٦: ٢٠٠١)

لم يتوقف الأمر على هذه الخروقات المتعارفة بل وصل إلى حد يتجاوز جميع الحدود الحمراء في تليخ كرامة الإنسان و تشويهها و أصبحت قضية الحقوق تافهة و مهدورة تحت أحذية عساكر الإستبداد و زبانيته و جري في مراكز التعذيب من الممارسات الوحشية ما تندي له جبين الإنسانية حياءً و سطر أبشع ما يتصور من التعذيب و الإهانة تعكس الرواية جانباً من هذه الوضعية:

((فهناك بعض المعتقلين لم يتحملوا ذلك العنت كله و من ثم ظهرت حالات مرضية من نوع جديد فالمعتقل نور الدين قد إصيب بالعمي و قد شخصه طبيب السجن على أنه عمي نفسي و السجين سعد زهران قد أقعده الشلل النصفي فلم يعد يستطيع السير أو النهوض و لم تفلح السياط في جعله يتحرك من مكانه و قد شخصه طبيب السجن على أنه شلل نفسي وهكذا زادت حالات الصرع و التشنجات العصبية و الجنون و الانهيار مما جعل عدداً آخر يتمني الموت العاجل للخلاص من هذه الضغوط النفسية و الجسدية الهائلة و لم يعزل هؤلاء المرضى في مستشفى أو في أماكن خاصة بهم بل تركو في زرناتهم وسط المعتقلين ليضيفوا آلاماً أخرى من نوع جديد)).

أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني.....(٢٩٧)

من هذه الممارسات يمكن للقارئ تصور الإستبداد العلماني وما يحمله من ويلات ودمار للشعوب الشرقية الإسلامية ويعرف أسباب تخلف الدول الإسلامية.

## ٢-٢ تجريم الالتزام

إن الاستبداد العلماني لديه القناعة بأن السياسات القمعية ولغة التهديد و حياة الإذلال لن يتحملها من عاش في ظل المبادي السامية التي تأتي الضيم والعار ويعرف أنه سيواجه بردود فعل عنيفة من قبل أصحاب المبادي ممن ألفوا حياة الالتزام وهذا ما يدفعه إلى تقليص الالتزام في حياة الشعب ومحاربه لذلك يكفي لإدانتك في ظل الحكومة العلمانية المستبدة في البلدان الإسلامية ان تكون انساناً سوياً يهّمك دينك و متطلباته من القيام بأمر الدعوة والشعور بالرسالة نحو مجتمعك واصلاحه وان لم تمسّ نشاطاتك الحكومة وسياساتها لأنها ترى في المسلم القائم بدينه خطراً دفيناً سوف تكون شرارة لإشعال حركة مناوئة لها وقصة محمود صقر الذي تمّ عليه القبض نموذج صارخ لمخاوف العلمانية نقرأ معاً هذه القصة في الرواية:

المسألة كانت في رأي محمود بسيطة للغاية، لم تكن تحتاج لهذا الرد العنيف المमित.. كل ما في الأمر أنه يدعو إلى أسلوب في الحياة و الحكم يعتقد يقيناً أنه أسلوب يحقق العدالة والرءاء، وكان يدعو إلى ذلك لإيمانه بأن الدعوة فرض.. و خاصة أن ما يفعله أمر إلهي... ولما قرأ التاريخ وفكر وقارن وراجع ونظر حوله أيقن أن طريق الله هو الطريق.. وأن المنهج الإلهي أعدل وأكمل من منهج البشر.. وأن الخالق أدرى بما يحقق السعادة والخير للمخلوق، وأي خروج على هذه العقيدة في رأي محمود زيغ وانحراف وتعاسة... لا شيء في ذهن محمود غير ذلك. (السابق:٢٠١،٩٤)

لكن هذه الطريقة للتفكير وهذه النظرة نحو الحياة لا يستسيغها النظام الإستبدادي الذي تم بناءها على العلمانية الخرقاء التي تعادي الدين والفطرة معا وكما يقول د. فودة: وأهم أسسهم نفي مقولة الحق واعتمادهم على الخيال والاهواء النفسية (الفودة،٢٠١٥: ٦)

فهو في عداة أبدي مع المبادئ السامية الا في ظروف خاصة يبدي نزوعاً نحو معتقده ليستغلها للوصول إلى مأربه ثم يعود إلى ما كان عليه من العداة السابق.

### ٢-٣ انتهاك الحرمات:

من طبيعة الحكم الإستبدادي أن الاوامر تصدر فيها مطلقة والعقوبات لا تنضبط في إطار القانون حتى تأتي ملائمة للجريمة وغاية الحفاظ على الحكومة وإخماد صوت المعارضة وتكثيم الأفواه تسوِّغ جميع الوسائل الشنيعة وتفقد حينذاك الحرمات والأعراض والدماء والاموال حرمتها التي اعلنتها الشرائع والقوانين.

يقول الكواكبي: العرض زمن الاستبداد كسائر الحقوق غير مصون بل هو معرض لهتك الفساق المستبدين والأشرار من أعوانهم. (الكواكبي، ٧٢: ١٩٤٢)

وقصة سلوي في الرواية و طريقة معاملة العساكر معها تثبت لنا هذا الجانب:

أخذت سلول تجفف دموعها و تقول:

((إنهم يأتون إلى كل يوم.. و الضابط المسئول يطلب مني طلباً غريباً..)).

-((غمغمت نبيلة.. هؤلاء الكلاب الأقدار لا يكفون عن الرذيلة و البعث..))،

وعادت سلوي تقول:

-((تصورّي.. لقد طلبوا مني أن أرفع قضيه طلاق ضد زوجي..)).

-((مستحيل..)).

-((هذا ما حدث مراراً و تكراراً.. و الضابط يقول إنه معجب بإخلاصي و وفائي،

ويقول إن زوجي لا يستحق هذا الوفاء كله، لأنه خائن لوطنه، لا يفكر في مستقبل أسرته..

ويؤكد لي أنه قد تزوج من ألمانية وأنجب منها طفلاً و قدّم لي صورته تضم زوجي و زوجته

الجديدة و الطفل.. بل يدعي أن ((أبو صابر)) يشرب الآن الخمر، و يراقص النساء..

و الأعبج من ذلك الضابط عرض على الزواج..)).

كانت نبيله مذهولة مما تسمع، و انطلقت تقول:

-((لا تصدقي حرفاً مما قال..)).

قالت سلوي:

أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني.....(٢٩٩)

- ((و لماذا يفعلون ذلك؟؟)).

- ((أسلوب من أساليب تدمير حياة الناس و القضاء عليهم.. التعذيب البدني وسيلة..  
والتمزيق النفسي حيلة خسيصة.. وبذر الشكوك بين الناس يضعف من قوة الروابط  
الإنسانية، وينزع الثقة من القلوب.. وهكذا يسيطرون بأبشع الطرق..)).  
(السابق:٢٠٠١، ٧٤)

## ٢-٤ التهديد والإرهاب

فإذا عجز الجهاز الإستبدادي عن تنفيذ خططه من القتل والبطش ومنعته الحدود  
الجغرافية عن التعرض بالمتهم لا يمنعه شيء من إطلاق التهديدات هنا وهناك وتشمل هذه  
التهديدات كل من ينتمي بالمتهم بصلة قوية أو ضعيفة والاستبداد يتقن لغة التهديد بمهارة  
خاصة ولا يعرف زبانية النظام الإستبدادي العلماني الغاشم سواها، تهديد الناس بالقتل  
والخطف والسجن و هذه ديدن كل الطغاة في العالم قديماً وجديداً ويزدق المتهم وأهله من  
المعاناة بهذا الاسلوب الوقح نصيباً غير منقوص فلا أثر للحرية في ظل الإستبداد والحال  
((والحرية التي منحها الله للإنسان لا يصح لأي سلطة أو فرد أن يسلبها منه فهي منحة إلهية  
للإنسان وفطرة فطره عليها (الصلابي، ١٤٦: ٢٠١٣)

نرى هذه الاسلوب في ممارسات عطوة بعد ان تحررت النيلة من يده و تركت الاهل  
والوطن:

مدّ عطوة عنقه صوب والد نبيله و قال:

- ((لم يعد لدي ذرة عقل.. سوف نطلب من الحكومة الكويتية رسمياً تسليمها  
للسلطات المصرية لمحاكمتها..)).

... ثم أخذ عطوه يجفف عرقه، و هو يلهث قائلاً:

- ((وإن فشلت الطرق الدبلوماسية.. فسأنتي بها في جوال مهرب.. إننا فعلها كثيراً  
وإن فشل هذا أيضاً.. فسوف نقتلها أو نندس لها السم.. إن رجالنا ونساءنا في كل  
مكان في العالم.. يجب أن نفهموا ذلك..)).

(٣٠٠)..... أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني

...وعاد عطوه أدراجه صوب باب الشقة عازماً على الخروج، وقال قبل أن يغلق

الباب في غيظ:

- ((وعندما تعلم نبيله و هي في الكويت أن أباهما.. وأمهها.. وكل أفراد أسرتها قد سيقوا إلى الموت الأحمر في السجن الحربي.. عندما تعلم ذلك فستأتي بنفسها إذا كان لديها ضمير حي.. أو تفقد عقلها، أو تنتحر إذا لم تتخذ ذلك القرار بالعودة.. ولم يكون هنالك مخرج إلا هذا...)). (السابق:٢٠١، ٢٦٣)

## ٢-٥ القوة المفرطة

الاعتماد على القوة المفرطة والعنف هو الاسلوب السائد لدي الإستبداد في تعامله مع الشعب والشرائح المعارضة ويراه الحل الوحيد في حسم المخالفين وإخماد شرارة اية مناوئة ويتم تدريب العناصر الخاصة بمهارات بالغة في التعذيب ويتم توظيفهم في مراكز حساسة لكسر إرادة الشعب العزل فلا قيمة للمفاوضة والمناقشة والطاولة لدي الإستبداد في إقناع المعارضة وفي منطقه العنف هو العصا السحرية في إعادة الامور إلى مجاريها على أساس هذه القناعة لا تقام لأصحاب الفكر والرأي أي وزن في ميزان الإستبداد العلماني فيهان شخصيات مرموقة بيد أتفه الناس وأرذلهم:

سلطته تكاد أن تكون بلا حدود في إطار الأوامر العليا، و هل ينسي يوم أن وقف في ساحة الحربي، و طلب من... أن يقف ((كالميسترو)) و يقود جموع المحبوسين و هم يرددون نشيد ((مثال الوطنية)).. نعم لقد رفض الرجل في البداية، لكن عطوة هدده بالانتقام من أتباعه، و فعلاً انهال عليهم ضرباً بالسياط حتى استجاب الرجل مضطراً أن يمثل دور المايسترو لينقذ أحبابه من العذاب، هذا... الذي كان يحرك الملايين بكلمة، أصبح عطوة اليوم يحركه بسوطه.. نعم.. القوة هي القول الفصل في كل شيء، و ياويل من يغرقون و يغرقون غيرهم في الجدل و الحوار الأجوف، إن رصاصة واحدة تحسم الأمر، و تعيد الهدوء و الاستقرار، أصحاب الرأي في هذه الدنيا هم البلهاء.. كل هذه الأفكار آمن بها عطوة واستخلصها من تجاربه الخاصة (السابق:٢٠١، ٤٨)

ونستطيع أن نعلل كل هذه التصرفات بما نقلناه عن د. عماد الدين الخليل: و هي ان العلمانية تحدث ازدواجا خطيرة في زعامتها حيث نجد اولئك يبلغون اعلي المناصب...

يغرقون - في الوقت ذاته - في أدني وأحط المستويات الأخلاقية (خليل، ٢٠٠٨: ٦٥)

إذا كان الإستبداد يعامل المعارضين بهذه الطريقة التي أصبحت معتادة و متبعة لديهم يمكن هضمها أنها تأتي في إطار حسم التحركات المعارضة لتثبيت دعائم الإستبداد بإزالة التهديد لكن مما يدعو إلى العجب في حياة المهوسين بالقوة و الارهاب من أذئاب العلمانية المستبدة أنهم ظلوا يعملون هذا السلاح في وجه اقرب الناس اليهم واسرتهم ويعالجون مشكلاتهم الاسرية بطريقة يعامل بها المجرمون ويدل هذا الاسلوب الشاذ في حياتهم ان الكرامة زالت من نفوسهم بسبب تصرفاتهم اللإنسانية وأصبحت خياناتهم تطال اهلهم واسرتهم نقرأ في الرواية أن عطوة رأى تصرفات نبيلة كفتاة مهذبة مثقفة تمرداً على افكاره اللانسانية وبدأ التفكير في خطة للايقاع بها عن طريق اذنا به في المخابرات حتى يتم انقيادها له على زعمه بهذه الطريقة الخبيثة تكون مع الرواية في ابداء هذا الجانب:

أما المشكلة العويصة اليوم فهي ((نبيله))، لأنها لم تستسلم له، و لأنها تريده أن يفكر من جديد و الكارثة أنها تحاول جاهده أن تغير من مفاهيمه وأفكاره التي آمن بها، واستقرت في عقله كمذ سنوات طويلة، وأصبحت من المسلّمات التي لا تناقش، الغريب أنها عزلاء من أيه قوه، فليس لديها المال الكثير، و لا المنصب الضخم - مجرد مدرسه - ولا الأسرة العريقة، لقد أيقن من زمن بعيد أن ((القوه)) تحل المشكلة مهما تعقدت، هي لا تملك غير الجمال الآسر، والروح المسيطرة، فكيف يقهر هذا الجمال بقوته؟؟

وأخذ يعمل فكره و يدبر.. إنه لا يطيق الصبر، ولا يعرف الكياسة أو التخطيط الرزين الهادئ البطيء، و يجب الحسم والسرعة و يتعجل قطف الثمرة...

ذهب ((عطوه)) إلى أحد أصدقائه ((المخلصين)) في المخابرات.. اختلي به بضع لحظات.. ثم قدم له ورقه بعد أن كتب فيها سطوراً قليلة.. وضحك عطوه كما ضحك صديقه.. و تصافحا في ود بعد أن تعانقا.. وقال له صديقه وهو يودعه:

- ((مع السلامة يا نمس.. دائماً أقول عنك الرجل الذي لا يقهر..)). (السابق: ٢٠٠١، ١٤٣)

## ٢-٦ المطاردة

طبيعة الإستبداد أنها لا يهدأ له بال مادام عرق ينبض خلافه في العالم فلا يتوقف بطشه

(٣٠٢)..... أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني

على المواطنين داخل البلاد و جغرافيا سيطرته بل يتعدى إلى اللاجئين والفارين إلى سائر الأقطار و الدول و الافراد الذين يحس فيهم رأي يعارض الإستبداد و يتوقع ان يشكّلوا خطراً عليه في الخارج ليسوا في مأمن من الارهاب و الضغوط تمارس عليهم عن طريق القاء القبض على اهلهم و المنتمين بهم و قصة هذه الانتهاكات شائعة في الدول الاسلامية التي تحكمها العلمانية المستبدة كل ذلك يدل على الإضطراب و اختلال التوازن في الحكم الاستبدادي يقول الغزالي ((مع الاستبداد السياسي تضطرب موازين العدالة)) (الغزالي، ١٩٩٨: ١٣٥)

ونقرأ ذلك في الرواية ان سلوي القي القبض عليها لان زوجها يدرس الدكتوراه في الهندسة النووية في المانيا و له آراء معارضة للحكومة: ((شيء غريب حقاً.. تصوري أن كل ذنبي هو أن لي زوجاً يدرس الدكتوراه في الهندسة النووية في ألمانيا.. هم يريدون القبض عليه، أرغموني كي أكتب له الخطاب تلو الخطاب كي يحضر.. وكانوا يتسلمون الرد، هددوه باعتقالي.. بل بقتلي إذا لم يسلم نفسه... رفض زوجي أن يعود لأنه يعرف كل ما يجري هنا. (السابق: ٢٠٠١، ٧١)

## ٧-٢ الإغتيال

إذا طاشت سهام المطاردة و التهديد و فنون الإذلال و بءات المساعي بالفشل دون ان يحقق الهدف المنشود فلا تترك القضية و شأنها بل تدخل في مرحلة حاسمة و هي التركيز على تصفية الكيان المناوي جسدياً و حذفه عن الوجود كلياً و تقوم بتنفيذ الخطة فئات مدربة خاصة حذقوا القتل و فنونه كل ذلك بطريقة خفية لا تحس دون ان يتركوا أثراً للجريمة أو يثيروا شبهة و جغرافياً نشاطهم يشمل الكرة الأرضية كلها إن استطاعوا الوصول إليها و تصبح ضحاياهم في عداد القتلى المجهولين و الرواية تعكس جانباً من هذا الواقع:

وفي أثناء سيرها في ذلك الشارع الجانبي الذي تسكن قرب منتصفه أفاقنا من شرورها على طلقات رصاص متتابعة.. و قفت لحظة و دارت بنظراتها في خوف.. و وجدت شبحاً يتوارى مسرعاً.. أدركت على الفور بغريزتها أن شيئاً خطيراً يحدث.. جرت بأقصى ما تستطيع من قوة، و ما أن دلفت إلى الداخل و هي تلهث حتى أخذت تتحسس جسدها.. لم تكن تصدق أنها قد نجت.. كيف لم تصبها رصاصة؟؟ تقاطر العرق على جبينها،

أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني.....(٣٠٣)

ودخلت غرفتها في الطابق الثاني شاحبه.. كانت أنفاسها تتلاحق.. قالت الأرملة التي تسكن معها هي وأولادها الثلاثة:

-((ماذا جرى لك يا ست نبيله؟؟)).

قالت وهي تقذف بحقيبتها وأوراقها على المكتب الخشبي الصغير.

-((لا شيء..)). (السابق:٢٠٠١،٣٧٦)

## ٢-٨ شبخ المخابرات

ومّا استعان به الإستبداد العلماني في التعرف على مكامن المعارضة وإخمادها في المهد و سلب الأمان والراحة النفسية عن الشعب كله هو أجهزته المخابراتية والجاسوسية التي تنتشر في طول البلاد وعرضها وتعد على الشعب أنفاسه و تراقبه في خلواته وجلواته وسبب ذلك ان الحكومات العلمانية في البلدان الاسلامية تري عدوها اللدود في الشعب ومعظم نشاطها الامني يدور حول احتواء الشعب و رقابة جميع حركاته و سكناته و هذه النظرة السلبية تدفع الحكومة نحو توظيف جيش من العيون والجواسيس وتعويد الشعب على الدناءة بدل الكرامة و هذه المحاولة تنشر موجة من فقدان الثقة بين الشعب بعضهم ببعض حتى الآباء تسوء ظنونهم نحو الأبناء وهكذا تتحول البلاد إلى شبكة من الاحقاد والظنون تنشر لصيد كرامة الشعب يقول النداف: أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم جريا على المبدأ المشهور " فرق تسد" فهو يفرق شعبه خوفا منه(النداف،٢٠٠٦:٢٠١)

نكون مع الرواية في تبين هذا الجانب:

-((ليس الأمر بهذه البساطة، إنك ستدفعين الثمن، سيكون على عاتقك مهمه كبرى..)).

-((ما هي؟؟)).

-((أن تكتبي تقريراً مفصلاً عن كل ما بدور بينك و بين سلوي ستكونين بذلك من

جهاز المخابرات الذي يخدم الرئيس..)).

نظرت إليه وهي لا تكاد تصدق وقالت:

-((أترضى أن تكون زوجتك جاسوسة؟!)).

(٣٠٤)..... أساليب النظام القمعي (الإستبداد) في ضوء رواية (رحلة إلى الله) لنجيب الكيلاني

قهقهه عطوة و قال:

-((إنك بذلك تؤدين واجباً مقدساً لخدمة الوطن..)).

... وسمعت عطوة يقول:

- (( وفي البداية يبدو الأمر غريباً شاذاً.. ستجدين صعوبة لا شك.. لأنك لم تتعودي مثل هذا العمل، و لأنه يرتبط في ذهنك بأخط الخلق و السلوك.. حسناً وجميعنا في أول الأمر كنا هكذا.. ولكن الزمن كفيل بتغيير أفكارك و ستكونين في منتهى السعادة عندما تتأكدين أنك تؤدين دوراً هاماً من أجل حماية الرئيس (والوطن..)).

تناولت حقيبتها و أخفت دمعة بللت أهدابها، و قالت:

-((هيا بنا...)) (السابق:٢٠١، ١٨٣)

## ٢-٩ تضيق الخناق على المواطنين

ويتراكم هذا الزخم من النشاطات الأمنية و الجاسوسية على الشعب و تصل نهايتها من حيث الضغط النفسي و الإيذاء الجسدي و يخلق حالة من الإحباط و الشعور بإنسداد الأفق و هذا الشعور يتتاب كل مواطن يسعى نحو حياة توفر فيها الكرامة و كل من يجتهد للمساهمة في بناء بلاده على معايير العزة و الرقي أما المستسلمون للأوضاع الفاسدة يكتفون أنفسهم وفق مصالحهم الموقّنة و يتطورون أثرها من وضعيّة إلى و لا يقع صدام بينهم و بين الإستبداد لأن الصدام نتيجة للمفارقات الإيديولوجية و الفكرية فهذه المصالحة بجانب سياسة الحكومية الأمنية تضيق الخناق على الأحرار و الناقلين على الأوضاع أكثر فأكثر إلى حدّ يرون الحلّ في الرحيل فراراً بقيمهم و حياتهم:

قال الطيب بعد أن صمت لحظات مفكراً:

- ((لدي حل)).

هبت واقفه، و اقتربت منه، و أمسكت بكم معطفه الأبيض الناصع النظيف و قالت

متوسلة:

-((ما هو؟؟)).

قال و هو يلف سماعته على سبابته اليميني:

- ((الرحيل)).

- ((إلى أين يا دكتور؟)).

- ((إلى الخارج.. لفترة تستطيعين فيها أن تسترجعي هدوء البال والاستقرار النفسي المفقود.. وأيضاً ستفتلين من عطوة..)).

ودارت نبيلة بنظارتها في أرجاء المكان، وأطلت عبر النافذة حيث المباني الشاخنة والمآذن والقباب ومداخن المصانع، والسماء الرحبة الزرقاء، وغمغمت قائله:

- ((هذه فكرة رائعة..)). (السابق: ٢٠١، ١٠٩)

هذه الوضعية التي تظلل الناس في حكومة الإستبداد تحول البلاد كلها إلى سجن وآفاق الحرية تضيق لهم فلا تروق الحياة في هذه الأوضاع إلا لإصحاب السلطة ومن يدور في فلکهم من البطانية والحاشية الذين يرتاحون على حساب الشعب والإغتراب من الموطن الذي يري الإنسان نفسه جزءاً من ترابه منه نشأ و نبت وفيه ترعرع وإليه يعود أصعب قرار في الحياة يتقطع القلب والبال إثره لكن الإستبداد بممارساته القمعية ومعاداته الشعب يجعل هذا الإقدام الصع أمنية في حياة المواطنين يتلهفون إلى موعد تحققها فرارا من ظل الإستبداد الثقيل.

## ٢-١٠ استغلال الحماس الشعبي

إن النظام الإستبدادي ينطلق من مبدأ المصالح والفرص وهذا هو السبب وراء تطور مواقفه وانتقاله من مراوغة إلى أخرى ويعامل الشعب بسياسة النفاق والخداع فإذا اقتضت الضرورة يستغل حماس الشعب المتدفق والتضحيات التي يقدمها الشعب حماية لدينه وعقيدته فاذا انتهت المحنة وقويت الشوكة يقوم بجني الثمار لنفسها خاصة ويطرده من لا يسايره في افكاره العلمانية وتسعي لتهميش العقيدة والايمان والقضاء عليهما وتبعت الحكومة العلمانية في الشرق العربي هذه السياسة لترسيخ دعائم الحكم ونقرأ ذلك في الرواية:

اقترب منه عطوة ثانيه وقال:

- ((سيان كنت في الجهاز السري أم لم تكن.. المهم أنك من الإخوان المسلمين..)).

- ((و هل الانضمام للإخوان جريمة؟؟)).

- ((ألم تعرف بعد؟؟)).

- ((لقد كان بعض كبار رجال الثورة أعضاء معنا..)).

نظر إليه عطوه في اشمئزاز واحتقار:

- ((معكم أتم؟؟ لقد هزلت..)).

- ((بعضهم حارب معنا في القنال.. وفلسطين.. والرئيس نفسه وقف على قبر الإمام

حسن البنا في يوم ذكراه وأشاد بكفاحه العظيم.. وأثنى على الجماعة..)).

... فهي تعلم أن الإخوان لم يبدأوا بالعدوان، وتعلم أن الرئيس كان له علاقه سابقه

بهم، وأنهم وضعوا أيديهم في أيدي الثورة في البداية، بل كان لهم أعضاء بارزون في

مجلس القيادة الأول، وكان هذا التعاون على أساس إطلاق الحريات للشعب، وفتح الطريق

أمام عزله الدستور الإلهي كي يحكم ويسود، حتى تتحقق العدالة للجميع ن الثورة غدرت

بهم.. اعتقلتهم مراراً.. ضيقت عليهم الخناق.. حاربتهم في أرزاقهم.. كملت أفواههم..

دبرت لهم المكيدة تلو المكيدة..(السابق:٢٠٠١، ٣٩)

### ٣- النتيجة

١- ملامح الشخصيات فيها واضحة والأدوار التي مثلوها ملائمة للحالات النفسية

والإجتماعية التي حددت لها في الرواية كل هذه السمات بوأتها لأداء الدور المثالي

في جانبي السلبي والإيجابي و ساعدت هذه العناصر الروائية كلها -بجانب سير

الرواية الفني بحيث لا تتمثل المنعطفات والتعاريح الروائية اسباب إنحراف للقاري

عن الوصول إلى المحطة النهائية-أن يخيم على جميع فصول الرواية جو يوحي

الضدية والكراهية بين الطرفين ويصبح روحا تسري في الفصول كلها بحيث يحسها

القاري عميقا.

٢- العبقرية الروائية للكاتب تتجلى في الشخصيات والأدوار إن الشخصيات كللت برموز تعرف بها في صعيدي الواقع والخيال والأدوار لها إشعاعات تهدي القارئ وتساعده أن يقطع المسافة الواقعة بين الخيال والواقع بسرعة وليس ذلك على حساب عنصر الخيال وتضمهره بل الكاتب استفاض في الخيال وأضفي عليه قدرا كافيا وقام بتطعيم الواقع بالخيال في المراحل كلها لكن لم يسمح للخيال أن يتحول حاجزا بين القارئ والواقع.

٣- إن الرواية ترمي بالقارئ في خضم الحوادث المتداخلة وتتركها يعترك بها مباشرة فيخرج وهو مغمور بإحساس الوجود في واقع لمس صميمه واكتشف أسراره عن كذب فالوصول إلى هذا الشعور التلقائي يختلف تماما عن تلقين الحس سرديا وقد زاد في ترسيخ هذا الإنطباع أن الكاتب مر بتجربة مشابهة لأحداث الرواية وهذه الميزة نفخت روحا في مقاطع الرواية وحولها شبيها إلى مسلسل وثائقي يقدم في حلقات متعددة والقارئ يرتاد في جميع زوايا البحث بالاستصحاب رائد قد مضى له سابق معرفة وريادة في وديان البحث.

### قائمة المصادر والمراجع

- ١- خليل د. عماد الدين؛ تهافت العلمانية؛ دار ابن كثير؛ دمشق؛ بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٩-٢٠٠٨
- ٢- الزحيلي أ. د. وهبة؛ وحق الحرية في العالم؛ دار الفكر المعاصر؛ بيروت؛ لبنان؛ دار الفكر دمشق سورية الطبعة الأولى ١٤٢١.
- ٣- الصلابي د. علي محمد محمد الحريات من القرآن الكريم، دار ابن كثير. بيروت؛ لبنان؛ الطبعة الأولى ٢٠١٣.
- ٤- الغزالي، محمد؛ الفساد السياسي في المجتمعات العربية و الاسلامية؛ دار النهضة مصر للطباعة دار النشر و التوزيع ١٩٩٨
- ٥- فودة سعيد عبد اللطيف؛ مقالات في الحداثة و العلمانية؛ دار الذخائر بيروت لبنان؛ الطبعة الثانية ٢٠١٥\١٤٣٦
- ٦- الكيلاني، نجيب؛ رحلة إلى الله؛ دار البشير للثقافة و العلوم، طنطا؛ الطبعة الاولى ٢٠٠١م.
- ٧- الكواكبي، عبد الرحمن؛ طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد؛ ١٣٢٠
- ٨- النداف محمد زكريا؛ الاخلاق السياسية؛ دار العلم؛ دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦.